الله صم بكم عمي • ومعنى قايل هذا القول في تاويلهم ما تاولوا على
ما حكيت عنهم ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم كمثل نعق الناعق
بغنمه ونعيقه بها فاضيف المثل الى الذين كفروا • وترك ذكر
الوعظ والواعظ لدلالة الكلام على ذلك كما يقال اذا لقيت
فلانا فعظمه تعظيم السلطان يراد به كما تعظم السلطان • وكما
قال الشاعر •

فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير

يراده كما يسلم على الامير • وقد يحتمل ان يكون المعنى على هذا التاويل
الذي تاوله هولا ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن
رسوله كمثل المنعوق به من البهايم الذي لا يفقه من الامر والنهي غير
الصوت • وذلك انه لو قيل له اعتلف او رد الما لم يدر ما يقال
له غير الصوت الذي يسمعه من قايله • فكذلك الكافر مثله في
قلة فهمه بما يومر به وينهى عنه بسو تدبره اياه وقلة نظره وفكره فيه
مثل هذا المنعوق به فيما امر به ونهي عنه فيكون المعنى للمنعوق به
والكلام خارج على الناعق كما قال نابغة بني ذبيان

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل

والمعنى حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي • وكما قال الاخر

كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم

والمعنى كما كان الرجم فريضة الزنا فجعل الزنا فريضة الرجم لوضوح
معنى الكلام عند سامعه وكما قال الاخر

ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره

والمعنى يحلى بالعين فجعله تحلى به العين ونظاير ذلك من كلام العرب
اكثر من ان يحصا مما يوجهه العرب من خبر ما تخبر عنه الى ما صاحبه

لظهور معنى ذلك عند سامعيه فتقول اعرض الحوض على الناقة
وانما تعرض الناقة على الحوض وما اشبه ذلك من كلامها • وقال
اخرون • معنى ذلك ومثل الذين كفروا في دعايهم الهتهم واوثانهم
التي لا تسمع ولا تعقل كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعا ونداء وذلك الصدى
الذي يسمع صوته ولا يفهم عن الناعق به شيا • فتاويل الكلام على قول
قايل ذلك ومثل الذين كفروا والهتهم في دعايهم اياها وهي لا تفقه
ولا تعقل كمثل الناعق بما لا يسمعه الناعق الا دعاه ونداه اي لا يسمع
منه الناعق الا دعاه • ذكر من قال ذلك
حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعا ونداء قال الرجل الذي يصيح
في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يراجعه يقال له الصدى فمثل الهة
هولاء لهم كمثل الذي يجيبه بهذا الصوت لا ينفعه لا يسمع الا
دعا ونداء • قال والعرب تسمي ذلك الصدى • وقد تحتمل الاية على هذا
التاويل وجها اخر غير ذلك وهو ان يكون معناها ومثل الذين كفروا
في دعايهم الهتهم التي لا تفقه دعاهم كمثل الناعق بغنم له من حيث
لا تسمع صوته غنمه فلا ينتفع من نعقه بشي غير انه في عنا من دعا
ونداء • فكذلك الكافر في دعايه الهته انما هو في عنا من دعايه ونداه اياها
لها ولا تسمعه شيا • واولى التاويل عندي بالاية التاويل
الاول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه وهو ان معنى الاية ومثل
وعظ الكافر وواعظه كمثل الناعق بغنمه ونعيقه فانه يسمع نعيقه
ولا يعقل كلامه على ما قد بينا قبل فاما وجه جواز حذف وعظ اكتفا
بالمثل منه فقد اتينا على البيان عنه في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا وفي غيره من نظايره من الايات بما فيه الكفاية من اعادته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)